الحمل في النوع

ميزت العربية بين النوعين المذكر والمؤنث باللفظ أو اختصاص اللفظ بالنوع، فجعلت للمؤنث لفظاً، سواء أكان المؤنث حقيقياً أو مجازياً، واللغة تفرق بين الجنسين في الخطاب بالضمائر، وفي الألفاظ بألفاظ تخص الذكور وألفاظ تخص الإناث أو بلاحقة تزاد في الاسم للتأنيث، فمن الضمائر ما يعرف بضمائر الذكور نحو: أنتَ، أنتم، هو، هم. وضمائر الإناث نحو: أنتِ، هي، هن، ويوجد نوع ثالث مشترك بينهما، مثل: أنا، أنتما أطلق فيهما لمعاينة المخاطب من يخاطبه.

وإن وجد الذكور مع الإناث غُلّب ضمير المذكر، وإن كانت النساء كثرة، فضمائر الجمع، نحو: أنتم، تقع للذكور والإناث معاً في خطاب واحد. وأسماء الإشارة تخص الجنس عدا هؤلاء، فهى لهما معاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**هَؤُلاء بَنَاتِي**﴾[الحجر:٧١]، ويفرق بين النوعين بزيادة التاء فى الأفعال المسندة إلى مؤنث حقيقى، وبزيادة التاء فى الأسماء، وتقلب فى الوقف هاء نحو: رجل وامرأة أو بالزيادة نحو: التاء في: معلمة، وذلك فيما يشترك فيه الرجل والمرأة من الصفات، وقد يقع فى بعض أعلام المؤنث نحو: شجرة، ناقة، عزة، وقد وقعت بعض الألفاظ المؤنثة للمذكر خروجاً على القاعدة التى تفرق بينهما، وذلك نحو: حمزة، طلحة، معاوية، ومن الأعلام المعاصرة: عزت، شوكت، رأفت، مدحت، وأصلها: عزة، شوكة، رأفة، مدحة، وهى أسماء مؤنثة أطلقت على مذكر، وهنالك ألفاظ على لفظ المذكر وضعت لمؤنث مثل: قطام، سجاح، عناق، حزام، وحديثاً: نجاح، رضا، ومثلها: عقرب، وعقاب، عنكبوت. ومن ذلك بعض الصفات التى تأتي على وزن: فاعل نحو: حائض، وفعيل نحو: قتيل وجريح، ومثله: فعول، ومفعيل، ومفعال[1]، وهنالك أعلام

(١) ارجع إلى: الكتاب جـ٣ / ٢٣٦ – ٢٣٩، والمقتضب ٣ / ٣٢.

مؤنثة في المعنى نحو: سحر، وقمر، وقدم، وتعرف بالمؤنث المعنوى فليس بها علامة من علامات التأنيث، ومثلها: هند، وعلا، قِدْر، أمل، شمس، والأسماء الأعجمية الدخيلة نحو: حِمْص، مِصْر (الدولة)، فرنسا، وغيرها من أسماء الدول وأسماء النساء نحو: مارى، هايدى، جيهان، ومثله من الجمع: إبل، غنم. وهذه الأسماء متمكنة في التأنيث فتمنع من الصرف و إن تسمى بها مذكر. وأسماء بها رمز التأنيث نحو: نجلاء، وسمراء، وفاطمة، سُلْمى، سُعْدى. والأصل أن يوضع لفظ لكل نوع نحو: رجل: امرأة، ولد: بنت. ثم استخدموا لفظاً لهما فيما اشتركا فيه وزادوا التاء في المؤنث ثم اطردت زيادتها في كثير من التأنيث ومنه: امرؤ: امرأة، رجل: سمع فيه رجلة، ومنه ما حكاه أبو زيد: "فكانت عائشة رضي الله عنها – رجلة الرأى"، قال الشاعر[1]:

مزقوا جيب فتاتهم لم يُبالُوا حُرْمة الرجلة

ومثله: حمار: حمارة، والأصل: أتان، وبرذون (دابة تركب): برذونة، وثعلب: ثعلبة (ثِرْملة)، وعل: وعلة (أروية)، قرد: قردة (مِسَّة)، عصفور: عصفورة، نمر: نمرة، ضفدع: ضفدعة. قنفذ: قنفذة[2].

وهنالك صفات في المؤنث دون المذكر نحو: حائض، طامث، وحامل، أى امراة ذات حيض وطمث وحمل، فهى على النسب عند الخليل وعند سيبويه: تؤول بإنسان أو شيء: إنسان حائض، وذلك للدلالة على ثبوت الوصف فى المؤنث، فإن كان عارضاً في زمن محدد جاز: حائضة، طامثة، حاملة بمعنى الآن،أو غداً، وليس على الوصف الدائم، فالتاء تدخل على الصفة الخاصة بالأنثى لتحديد زمنها وحدوثها، فإن كانت دائمة حذفت من الوصف، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾[الحج:٢]، زاد التاء؛ لأن المرضعة التى تكون في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى فهى تباشر

---

(١) شرح المفصل م٢ / ٥١١، ٥١٢.

(٢) المزهر جـ٢ /٢٢٠، وشرح المفصل م٢ /٥١٢، ولسان العرب ١ /٢٦٦، والمعجم المفصل ٢ / ٦٤٨.

الرضاع، فتترك رضيعها من هول الموقف، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فهى امرأة مدرة للبن، فتوصف بمرضع[1]. والتاء تزاد للتفرقة بين الواحد والجمع نحو: تمر: تمرة، شعير: شعيرة، حب: حبة، دجاج: دجاجة، بط: بطة، حمام: حمامة، شجر: شجرة.

قال جرير[2]:

لمَّا تذكرت بالدَّيْرين أرقنى صوت الدجاج وقرع النواقيس

صوت الدجاج: صوت الديكة، فالدجاج جمع الذكور والإناث، ومثلها: ساع: ساعة، قال الشاعر[3]:

وكنا كالحريق أصاب غاباً فيخبو ساعة ويهبُّ ساعة

ومثله الفصل بين جنس الصناعة نحو: لَبِن: لَبِنة، جر: جرّة، وقلنس: قلنسوة. سفين: سفينة.

وقد تزاد في المذكر لغير التانيث نحو: راوية، حاكية، باغية، راعية، للمبالغة في الفعل وليست للتأنيث نحو: فروقة (لشديد الخوف)، ومثلها: ملولة، وعجولة. ومثله: فقاقة (أحمق كثير الكلام)، ومثله: إمعة (يتابع رأى غيره في كل شيء فلا رأى له)، ومثله: نسابة، وعيابة، وهُمَزة ولُمَزة، وذلك ليس من المؤنث، وقد تناولنا ذلك من قبل، ومثله: زيادة التاء للعوض عن المحذوف، فالتاء تكون عوضاً عن فاء الكلمة نحو: عِدَّة من وعد، ومثلها: ثبة من وثب، وعوضاً من العين نحو: إقامة من أقام، والأصل: إقوام وزن إفعال مثل: إحسان وإكرام، ومثلها: استقالة واستقامة واستطاعة. وعوضاً عن لام الكلمة نحو: لغة من لغو، كرة من كرو، سِنة من سِنه أو سنو. فالجمع: سنوات، وسنهات. كرهوا تعاقب الحركات في الواو فحذفت الواو أو الهاء، وعوضوا عن

---

(١) الكشاف جـ٢ / ٥٦.

(٢) ديوان جرير. ط الصاوى ص٣٢١.

(٣) ديوان القطامى ص ٢٦٢ وروى: وكنا كالحريق لدى الكفاح واللسان: سرع ٤/٧٤٩.

المحذوف بحرف التاء في موضع المحذوف فى اللام، ثم اطرد القياس فعوض عن المحذوف في موضع الفاء واللام في آخر الكلمة قياساً على حذف اللام؛ لأن الحذف فيها كثير[1].

ولحقت التاء ببعض الأسماء التى تتطلق على المذكر والمؤنث مثل: الحية، البطة، النملة، الجرادة، البومة، البقرة، يراد بها الواحد من جنسها، فتطلق على المذكر والمؤنث، مع صحة المذكر نحو: ثور في الذكور. ومثله بعض المذكر الذى يطلق على النوعين نحو: أسد، ذئب، أرنب، ثعبان. جاز فيها أن تطلق على النوعين، وقيل أطلقت على النوعين فيما أبهم فيه معرفة المذكر والمؤنث فلا يتحقق من النوع فيسميه بلفظ عام، والأصل أن يفرق بين المذكر والمؤنث. ومثلها التاء التى تزاد في جموع القلة وزن أفعلة نحو: ألوية، أردية، أرغفة، أقمصة، أفئدة.

وبناء فِعْلة نحو: صبية، علْية، فتية، وبناء فُعْلة: قُضَاة، سُعَاة، رُمَاة، طُهَاة، وفَعَلة نحو: سَحَرة، خَوَنَة، قصَصَة، ضعفة. وبناء فِعَلة نحو: قِرَدة، دِيَكَة، فِيَلَة، وهذه الجموع يجوز تأنيث الفعل معها والتاء فيها ليست للتأنيث.

وينبغى أن نفرق بين ما يحمل على المعنى فى التذكير والتأنيث وبين ما يحمل على اللفظ، فالأول يكون في الألفاظ التي سمع فيها التذكير والتأنيث في لغة من أنثها أو ذكرها، فيقال: أُنثت حملاً على معنى المذكر، ويقال: ذكرت على معنى المذكر. والثانى يحمل على اللفظ فقط في الألفاظ التي اختصت بجنسها ولم يسمع فيها خلافه، فالألفاظ المخصوصة بالتأنيث لا تحمل على معنى المذكر، والألفاظ المخصوصة بالتذكير لا تحمل على معنى المؤنث، فالحمل فيهما يكون على اللفظ فقط؛ لأن المؤنث صريح التأنيث لا يجوز أن يكون بمعنى المذكر؛ لأنه مخصوص بجنسه وكذلك المذكر الصريح لا يكون بمعنى المؤنث.

---

(١) المقتضب جـ١ / ٢٤٣.

والحمل على اللفظ والمعنى وقع في التركيب، فالحمل لايكون إلا في تركيب، وقد صحت وجوه في العربية عدل فيها عن لفظ المذكر إلى المؤنث أو العكس، وذلك من خلال الضمير العائد على اللفظ الذي وقع الحمل فيه، أو الزيادة التي وقعت كتاء التأنيث في الفعل أو في الوصف، أو البناء المخصوص بالنوع، كجمع الذكور أو الإناث، فالقرينة اللفظية تبين وقوع الحمل على نوع المذكر أو المؤنث.

وهنالك ألفاظ عامة في الجنسين يدخل فيها المؤنث في حكم المذكر لعموم الحكم في النوعين.

وهنالك ألفاظ تقع على الذكور حملت في اللفظ على المؤنث مثل جموع التكسير يجوز التذكير والتأنيث فيها؛ لاحتمال معنى الجماعة فيها.

أولاً - حمل المؤنث على لفظ المذكر

وقع المؤنث موقع المؤنث ودخل في لفظ، وأشهر تلك المواضع دخول الإناث في ضمير الذكور فى الخطاب القرآنى، وذلك في المواطن التي شمل الحكم فيها، وهذا الحمل في اللفظ لا المعنى؛ لأن المؤنث لا يكون بمعنى المؤنث لاختلاف الجنسين.

وجاء الخطاب المذكر شاملاً الجنسين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[البقرة:١١٠] خطاب للذكور والإناث، ومثلها: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ**﴾[المائدة:٣]، وهذا الحكم وغيره من أحكام التحريم عام فى الذكور والإناث، فالتكليف فى العبادات والتحريم فى المحرمات يشمل الجنسين فتدخل الإناث فى حكم الرجال، وهذا من باب التغليب والإيجاز فيما اشتركا فيه، وتغليب الرجال على النساء من سنن العربية وليس هذا خاص بها؛ بل شأن كثير من اللغات، وتغليب الذكور على الإناث ليس مطرداً فى العربية،

فتتهم بالتعصب للذكورة، فقد يعامل لفظ المذكر معاملة المؤنث للفظ خلافاً للغات الأخرى. وخَصَّ الخطاب الإناث فى المواطن التى تحتاج توكيداً أو تخص النساء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[النور:٣٠] هذا لتأكيد الحكم فى الذكور صراحة لمجيء ذكر النساء بعده، والفرج للمرأة فأطلق على عورة الرجل والمرأة تغليباً، وتعظيماً لعفة المرأة وهذا مما حمل فيه الذكور على لفظ الإناث، ثم جاء الخطاب صريحاً للمرأة ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور:٣١] جاء الخطاب بلفظ المؤنث لتأكيد الحكم للإناث. وجاء التفريق بينهما فى اللفظ فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[الحجرات:١١]. لفظ قوم خاص بالذكور – عند بعض المفسرين – ومن ثم جاء ذكر النساء صراحة. فقالوا : يقال للرجال قوم دون النساء؛ لأنهم يقومون فى الأمور، قال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[النساء:٣٤].

وجاء التفريق بينهما فى اللفظ فى قول زهير[١]:

وما أدرى ولست إخال أدْرى أقوم آل حصن أم نساء

وقيل إن لفظ قوم خاص فى الرجال، ويجوز دخول النساء فيه لأنهن تبع لهم، وقالوا إن النساء ذكرن فى الآية تأكيداً على نهيهن؛ لأن السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب يكثر بينهن فذكرهن لتأكيد تحريم ذلك. ومثله قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور:٣١] جاء تأكيداً على نهيهن وتعظيماً لعفتهن.

---

(١) ديوان زهير ص ٧٣، والكشاف للزمخشرى جـ ٢/٣٤٤ ط بولاق.

ومنه قول امرئ القيس فى رجل أصاب رميته[1]:

فهو لا تنمى رميَّتُه ماله لاعُدَّ من نَفَرِه

وكلمة "نفر" تخص الرجال، ولكنه قد يحمل على الرجال والنساء معاً؛ لأنهن ينفرون مع الرجال إذا استنفروهن والنساء تبع لرجالهن، وقد خاطبهن الله تعالى بخطاب الرجال فى السياق العام الذى يراد به الجميع، وتدخل النساء مع الرجال فى بعض الكلمات العامة مثل: الناس، البشر، الإنسان، الخلق.

وقد اقترن المؤنث بالمذكر فى بعض المواضع تعظيماً لهن وتأكيداً على مساوتهن بالرجال فى الأجر، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الأحزاب:٣٥]، وهذا تكريم للنساء ومدح لهن فى المنازل التى يسابقن الرجال فيها. وهنالك مواضع غير عامة تتعلق بسياقها حمل فيها المؤنث على لفظ المذكر، فقد يحمل المؤنث على المذكر تغليباً، نحو قوله تعالى: ﴿**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾[التحريم:١٢] (من القانتين) مذكر، والأصل أن تدخل فى النساء (القانتات) ولكنه جاء مذكراً؛ لأن القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين، فغلّب ذكوره على إناثه، و"من" للتبعيض، ويجوز أن يكون "من" لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين[2].

وأرى أنها دخلت فى لفظ جمع الذكور فيما دخل فيه المؤنث مع المذكر من شمول الحكم العام، وقد سبقها: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾[التحريم:١١] وذكر فى الذين آمنوا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران– عليهما الرحمة – فى

---

(١) الديوان ص ٦١.

(٢) الكشاف م ٤/٤٢٩.

مقابل اثنتين من الذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، والمراد بلفظ "الذين" الجماعة التى يدخل فيها الرجال والنساء، فجاء لفظ القانتين جامعاً الرجال والنساء؛ لأن المرأتين من الذين كفروا والمرأتين من الذين آمنوا جعلهن الله تعالى للجنسين وليس للنساء فقط، فجاء اللفظ مذكراً؛ ليكون المَثَل عاماً وتأنيثه يخرج اعتبار الرجال به، والله أعلم. قال تعالى: ﴿**فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ**﴾ [البقرة:٢٧٥]، ذكر فِعْل الموعظة وهى مؤنثة، حملاً لها على لفظ المذكر (الوعظ)[١]، وقيل: ذكّر؛ لأن تأنيث موعظة ليس بحقيقى، وقيل: ذكّر؛ لوجود الفصل بالهاء بين المؤنث غير الحقيقى والفعل، فيجوز التذكير والتأنيث[٢]، وقيل: الوعظ والموعظة معناهما واحد يقال: وعظ وعظاً وموعظة. وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾[النحل:٦٦] حمل لفظ الأنعام على التذكير، وهى جمع يذكر ويؤنث، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[المؤمنون:٢١] فحمل "الأنعام" فى الأولى على لفظ المذكر، وحمل التأنيث على معنى المؤنث، وقيل إن الأنعام جنس فعاد الضمير إليه على المعنى، وقيل: الأنعام جمع نعم، وجمع التكسير يحمل على التأنيث، ولجمع التكسير الذى حمل على التذكير نظير فى لغة العرب، قال الأعشى[٣]:

فإن تعدينى ولى همة فإن الحوادث أودى بها

فحمل لفظ الحوادث على لفظ التذكير، فقال "أودى"، وجاء الضمير مذكراً فى "بطونه" على لغة من يذكر، وجاء فى "بطونها" على لغة من يؤنث، ومنه

---

(١) الاقتراح للسيوطى ص ٢٥٠.

(٢) البيان فى إعراب غريب القرآن، ابن الأنبارى، مكتبة الآداب ص١٧٤، التبيان فى إعراب القرآن ص٢٢٤، والخصائص جـ ٢٨٢/٢.

(٣) الديوان ص ٢٨ وفيه: فإن تعهدينى والحالة :. فإن الحوادث ألوى بها ألوى: ذهب، واللمة ناحية الشعر، يريد سقوط الشعر.

قوله تعالى: ﴿**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا**﴾[ق:١١] أى: فأحيينا بالمطر مكاناً ميتاً، فأراد بالبلدة المكان، ولهذا جاء الوصف مذكراً "ميت"، ويجوز ميتة[١]، وقيل: إن التاء لحقت بقرية وبلدة وغرفة وسقاية لمجرد تكثير بنية الكلمة، وتفيد التأنيث فى بعضها وتفرق بين الواحد والجمع فى بعضها وصح لفظاً بلد وبلدة، وأرى أن ميتة يجوز أن تحمل على وصف المذكر والمؤنث مثل: رَبْعة، فالتاء لازمة فيما يشترك فيه المذكر والمؤنث، يقال: رجل رَبْعة وامرأة رَبْعة (ويعنى المعتدل والمعتدلة من الرجال والنساء لا بالطويل ولا بالقصير)، وقد جاء لفظ المذكر فى قوله تعالى: ﴿**سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ**﴾[الأعراف:٥٧]، وحمل لفظ المؤنث على معنى المذكر نحو: "السماء" فى قوله تعالى: ﴿**السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾ [المزمل:١٨] قال أبو عمرو بن العلاء: السماء منفطرة، ألقى الهاء؛ لأن مجازها السقف، نقول: هذا سماء البيت، وقال قوم: قد تلقى العرب من المؤنث الهاءات استغناء، يقال: مهرة ضامر وامرأة طالق[٢]، وقد حمل "السماء"، وهو مؤنث – على معنى السقف – وهو مذكر. قال ابن فارس معقباً: "وهذا يتسع جداً " [٣]، فالبيت يتضمن السقف، مثل: الأصابع يراد بها الأنامل فى: ﴿**جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**﴾[نوح:٧]، وقرئ قوله تعالى: ﴿**لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ**﴾[سبأ:٣] قرئ: (ليأتينكم) بالياء مذكراً، قال ابن جنى: جاز التذكير هنا بعد قوله: (لا تأتينكم الساعة)؛ لأن المخوف منها إنما هو عقابها، والمأمول ثوابها، فغلب معنى التذكير الذى هو مرجوّ أو مخوف، فذكّر[٤]، وجاز تأنيثه على التأوّيل، وذلك لغلبة التذكير فى اللغة.

---

(١) الصاحبى ص ٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن الكريم ص ٨/١٧، وشرح الأشمونى ٩٧/٢.

(٢) مجاز القرآن، لأبى عبيدة جـ ٢٧٤/٢.

(٣) ارجع إلى: الصاحبى ص ٤٢٥، وشرح كافية ابن الحاجب جـ ٣*٣٩٩.

(٤) ارجع إلى: الصاحبى ص ٤٢٥، وشرح كافية ابن الحاجب جـ ٣٩٩/٣.

ومن تذكير المؤنث حملاً على معنى المذكر فيه قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾[الأنعام:٧٨]، أى: هذا الشخص أو هذا المرئى ونحوه[١]، وقيل أراد: هذا الكوكب ربى أو هذا الطالع أو الضوء، وقيل ذكّر هذا؛ لأن التأنيث غير حقيقى، وقد عاد اسم الإشارة على متقدم. ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:٥٦]، قيل المراد بالرحمة "المطر"، ويجوز أن يكون التذكير هنا؛ لأجل الوصف بفعيل التى يوصف بها المذكر والمؤنث معاً[٢]، ورحمة مصدر من رحم، فوقع الوصف على المصدر. والقرآن الكريم يحمل على أفضل الوجوه وأقواها، ومن ذلك حكم إعطاء المضاف حكم المضاف إليه فى التذكير والتأنيث ضرورة، وقد حمل ابن مالك والنسفى تذكير قريب على أن الرحمة ذكرت لإضافتها إلى لفظ الجلالة (المذكر)، والعرب تعطى المضاف حكم المضاف إليه فى التذكير والتأنيث إذا صح الاستغناء عنه[٣]، وقد رد ابن القيم هذا الوجه، فما صح عن العرب فيه نادر، ومنه قولهم: "ذهبت بعض أصابعه" [٤].

وذهب الجوهرى إلى أن الرحمة مؤنث غير حقيقى فجاز تذكير قريب، وضعّف أبو حيان هذا الوجه؛ لأنه جائز إن كان الفاعل ضميراً يعود على متقدم مجازى التأنيث، فإن تأخر فليس فيه إلا التأنيث نحو: الشمس طالعة، فلا يجوز طالع إلا فى ضرورة، وتابع رأيه[٥]. وجاء فى الحديث: "إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه" أى كريم قوم، وقيل إن الهاء فى "كريمة" للمبالغة، يراد به البالغ فى الكرم، كما قالوا: علاّمة ونسّابة، فزادوا الهاء للمبالغة، ومثلهم الهاء فى هِلْباجة:

---

(١) الخصائص جـ ٢/٢٨٢، والتبيان جـ ١/٥١٢.

(٢) الخصائص جـ ٢/٢٨٢، والتبيان جـ ١/٥٧٥.

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى جـ ٢/٢٣٨، ومدارك التنزيل، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى) (د.ت) جـ ٢/٥٧.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم جـ ٣/٢٦.

(٥) البحر المحيط، أبو حيان، جـ ٤/٣١٤، وبدائع الفوائد جـ ٢/٢٨.

رجل هلباجة، إذا كان أحمق فيشبهونه بالبهيمة، ومثلهم: نديد، يقال للمبالغة نديدة، قال لبيد بن ربيعة[1]:

لكى لا يكونَ السَّنْدِرىّ نديدَتى وأشتمُ أقواماً عُمُوماً عَماعِما

ومنه قول عامر بن جوين الطائى[2]:

فلا مُزَنَة ودقت وَدْقها ولا أرض أبقلَ إبقالُها

فلا سحابة أرسلت مطرها، وأرض أخرجت نباتها، والأرض مؤنث فحمل لفظها على معنى الموضع أو المكان، ونظيره البلدة فى قوله تعالى: ﴿**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا**﴾[ق:١١]. ومن ذلك قول الحطيئة[3]:

ثلاثة أنفس وثلاث زود لقد جار الزمان على عيالى

يريد بالنفس: الإنسان، أى ثلاثة من البشر أو ثلاثة أناسى، فخالف العدد ثلاثة المعدود أنفس، ومفردها نفس، والنفس مؤنث، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾[الشمس:٧]، وأرى أنه يريد بأنفس عياله، فسياق الحديث عن عياله.

ثانياً - حمل المذكر على المؤنث

أجرى العرب لفظ المذكر مُجْرى المؤنث ، ومن ذلك قول النبى ﷺ: "أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" [4] أجرى لفظ خير مجرى المؤنث فأنث الضمير العائد عليه (فى تقدمونها)، والخير مذكر، وأجاز العلماء تأنيثه إذا أُوِّل بمؤنث، كتأويل الخير الذى تقدم إليه النفس الصالحة بالرحمة أو الحسنى أو باليسرى، كقوله

---

(١) السندرى شاعر كان مع علقمة بن علاثة وكان لبيد مع عامر بن الطفيل، فدعى لبيد إلى مهاجاته، فأبى، والعماعم الجماعات، والعُمْ: الرجال البالغون، ارجع إلى الأضداد للسجستانى ص ١٢٩.

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٢/٤٦، والخصائص جـ ٢/٢٨١.

(٣) ديوان الحطيئة ص١٢٠، والخصائص جـ٢/٢١٤، والكتاب جـ ٣/٥٦٥، الزود: نوق، يريد: ثلاثة عيال، وثلاث نوق يتقوت بألبانها على عياله، والزود اسم مفرد مؤنث منقول من المصدر يقع على الجمع، فيضاف العدد إليه كما يضاف إلى الجموع.

(٤) رواه البخارى، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة.

تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:٢٦] وقوله تعالى: ﴿**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾[الليل:٧][١]، وجاء فى حديث الذباب: "فإن فى إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء" [٢]، أنَّثَ جناح وهو مذكر ودل على تأنيثه: إحدى والأخرى مؤنث أحد وآخر، وقد أنث الجناح؛ لأنه من الطائر بمنزلة اليد، فجاز تأنيثه مؤولاً بها[٣]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾[الأنعام:١٦٠] أنث العدد "عشر"، وهى مذكر (مؤنثها:عشرة) لتأويلها بالحسنات، وجاء فى قراءة أبى العالية: ﴿**لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**﴾[الأنعام:١٥٨] أنث الفعل "تنفع"، وهو مسند إلى إيمان؛ لأنه فى المعنى طاعة وإنابة، فاقتضى هذا المعنى التأنيث للدلالة عليه، ولا يجوز توجيه تأنيث الفعل تنفع على سريان التأنيث من المضاف إلى المضاف إليه، فالمضاف إلى إيمانها يعود على المفعول نفس، ولا يجوز إسناد الفعل إلى ضمير المفعول، وجواز سريان التأنيث من المضاف إلى المضاف إليه مشروط بصحة الاستغناء به عنه، ولا يجوز الاستغناء عن الفاعل "إيمان" بضمير المضاف الذى يعود على المفعول "نفس". ويجوز تأنيث المذكر إن صح وقوعه موقعه من الكلام، فيجوز سريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف: وهذا جائز إن صح الاستغناء بالمضاف عن المضاف إليه، ومن ذلك قول ذى الرُّمة[٤]:

مَشَيْنَ كما اهتزت رماحٌ تسفهَت أعاليها مَرُّ الرياح النواسم

اكتسب الفعل التأنيث من المضاف وهو الرياح؛ لأنه جمع وجمع تكسير يعامل معاملة المؤنث فى اللفظ، أنث الفعل تسفهت؛ لأن التأنيث سرى من

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح ص ٨٤.

(٢) رواه البخارى، كتاب بدء الخلق، إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح ص ٨٥.

(٤) ديوان ذى الرمة ص٣٠٣، وشواهد التوضيح والتصحيح ص ٨٥، والخصائص جـ٢/٤١٩، والكتاب جـ١/٢٥، ٣٣، والمحتسب جـ١/٢٣٧، يصف النساء فى مشيهن وتثنيهن بأنهن مثل رماح منصوبة هزتها الرياح فاهتزت وتثنت.

المضاف "الرياح" إلى المضاف إليه، ويجوز فى مثل: سرتنى إيمان الجارية، لجواز وقوع الجارية موقع الفاعل "إيمان"، فجاز سريان التأنيث إلى الإيمان.

وجمع التكسير الذى ليس بينه وبين مفرده إلا الهاء يذكر ويؤنث مثل: السحاب مفرد سحابة، جاء مذكر فى قوله تعالى: ﴿**وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[البقرة:١٦٤]، وجاء مؤنثاً فى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ [الأعراف:٥٧]، ذكر "بُشُرا" بضم الباء والشين والتنوين جمع بشير، فذكر على إرادة معنى فاعل من فعيل، وبُشُر مثل قُلُب وقليب، وقراءة تسكين الشين بمعنى مبشِّرات، ويقرأ بُشْرًى مثل: حُبْلى، أى ذات بشارة، وقرئت "نُشُراً" من النشور مثل: صَبُور وصُبُر، وفعول تكون بمعنى فاعل، فيوصف بها المذكر والمؤنث(١)، والمشهور: بُشْراً.

وقد يحمل لفظ المذكر على معنى لفظ المؤنث، ولا يعتد بمعنى المذكر، وهذا النوع نادر فى اللغة، والعام اختصاص اللفظ بدلالته مذكراً أو مؤنثاً، قال أبو عمرو: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لَغُوبُ جاءته كتابى فاحتقرها، فقلت له: أتقول: جاءته كتابى؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة(٢).

قال ابن جنى: فهذا الأعرابى الجِلف علَّلَ هذا الموضع بهذه العلة، واحتج لتأنيث المذكر بما ذكره(٣)، ومثل ذلك لفظ بعض إن أضيف إلى مؤنث حمل على معناه؛ لأن بعض المؤنث مؤنث، قال تعالى: ﴿**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾

---

(١) التبيان جـ ١/٥٧٥، ومشكل إعراب القرآن جـ ١/٣٢١، وتفسير القرطبى ٧/٢٢٩، والمحتسب ١/٢٥٥، وفقه اللغة ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) الخصائص، ط دار الكتب جـ ١/٢٤٩، ونزهة الألباء لابن الأنبارى، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر ١٩٦٧ م ص ٢٩، والاقتراح ص ٢٨٠، والمحتسب م ٢/١٨٦.

(٣) الخصائص جـ ١/٤١٨.

[يوسف:١٠] أنث الفعل؛ لأن بعض السيارة سيارة، وعليه قول بعض العرب: ذهبت بعض أصابعه؛ لأن بعضها إصبع فى المعنى، والإصبع مؤنث، والجزء يدخل فيما تجزأ عنه، وبعض الأصابع جزء منها مجمَعة[١].

وبعض الشيء يدخل فيه؛ لأنه جزء منه، ومنه قول الأعشى[٢]:

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شَرِقَتْ صدر القناة من الدم

الشاهد: شرقت صدر القناة، والصدر مذكر، فأنث الفعل؛ لأنه يدخل فيما هو جزء منه (القناة) فأرادها به، وعليه قول ذى الرمة[٣]:

مشين كما اهتزَّت رماحٌ سَفَّهت أعاليها مَرُّ الرياح النواسم

يريد: تسفهت مَرُّ الرياح: أعاليها، أنث الفعل؛ لأن مر أضيف إلى مؤنث "الريح" قال تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾[الحجر:٢٢]. وقال جرير[٤]:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخُشَّع

وسور المدينة جزء منها، فأنث الفعل.

وقال العجاج (وقيل الأغلب العجلى)[٥]:

طولُ الليالى أسرعت فى نقضى أكلن بعضى وتركن بعضى

وقال أيضاً:

على قبضة موجوءةٍ ظهرُ كفه فلا المرء مستحى ولا هو طاعم

يريد: ظهرُ كفه على قبضة موجوءة، وظهر الكف جزء منه.

وقال تميم بن مقبل[٦]:

---

(١) المحتسب م ١٨٦/٢.

(٢) الديوان ص ١٨٣، الخصائص جـ ٤١٨/٢، والكتاب جـ ٢٥/١.

(٣) الخصائص جـ ٤١٩/٢.

(٤) الديوان ٣٤٥، والخصائص جـ ٢٨٦/٢.

(٥) الخصائص جـ ٤٢٠/٢، موجوءة، وقيل: مرجوّة.

(٦) الخصائص جـ ٤٢٠/٢، والكتمان اسم موضع وقيل جبل، والمهرية الذقن: الإبل التى تميل ذقنها إلى الأرض عند السير وقيل السريعة، ارجع إلى معانى القرآن جـ ١٨٧/١.

قد صرح السيرُ عن كُتمان وابتُذِلَتْ وقْعُ المحاجن بالمهَّرية الذُّقُن

أى: ابتذلت المهرية وهى المنسوبة إلى مهرة، وأصلها: الذُّقُن المهرية، فقلبه وأنث.

وأما قول بعض العرب: "صرعتنى بعير لى" فليس فيه حمل؛ لأن" البعير" يقع على المذكر والمؤنث.

قال أبو ذؤيب الهذلى[1]:

إذا لسَعَتْهُ النَّحْلُ لم يرجُ لَسْعَها وخَالفَها فى بيت نُوبٍ عَوَامِلِ

أنث النحل – وهى لغة – والتذكير جيد[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**﴾[الفرقان:١١] ثم جاء بعده: ﴿**إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**﴾[الفرقان:١٢]، والسعير مذكر، وهو من تسعّر من سعار النار، ثم جاء بعده فعل مؤنثه، مجازها: أنها النار، والعرب تفعل ذلك، تظهر مذكراً من سبب مؤنثه، ثم يؤمنون ما بعد المذكر على معنى المؤنثة، وله نظير فى كلام العرب، ومنه قول المخَيَّس:

إن تميماً خُلِقت ملمُوما

وتميم اسم رجل، ولكنه قصد إلى القبيلة فأنث فعله فقال: "خلقت" ثم رجع إلى تميم فقال: ملموماً فى قوله "خلقت ملموماً"، وهو يريد اسم الرجل تميم وليس القبيلة فحقها ملمومة، ثم عاد إلى الجماعة المذكور فقال:

قوماً ترى واحدهم صِهْميما[3]

ثم عاد إلى اسم الرجل "تميم" فقال:

---

(١) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية ١٩٤٥، ١٩٥٠ جـ ١/١٤٣، الأضداد لأبى حاتم السجستانى، تحقيق الدكتور محمد عبدالقادر، مكتبة النهضة المصرية ط ١/١٤١١ هـ – ١٩٩١ م ص ١٤٣، وبيت النحل الجُنْح والخلية والجاح والخلايا، والنوب: جمع نائب أراد أنها تأتى بالشمع والعسل.

(٢) نفسه.

(٣) الصِّهميم من الرجال الشجاع الذى يركب رأسه ولا يثنيه شىء عما يريد ويهوى.

لا رَاحمَ الناسَ ولا مرحوما

أى: لا راحم "هو" أراد الرجل[1]. و"تيم" اسم قبيلة أيضاً، وقد جاء فى قول جرير مفرداً يريد به الجد[2]:

أتيماً تجعلون إلىَّ ندّاً وما تيمُ لِذِى حسب نديدُ

وقال رويشد بن كثير الطائى[3]:

يا أيها الراكب المزجى مطيته سائل بنى أسد ما هذه الصوت

الشاهد: هذه الصوت، حمل معنى الصوت على الاستغاثة، فأشار إليه بمؤنث، وقال الشاعر[4]:

لو كان فى قلبى كقْدر قلامة حُبًّا لغيرك قد أتاها أرسلى

الشاهد: أتاها أرسلى، كسر رسولاً وهو مذكر على أَرْسُل، وهو جمع تكسير المؤنث، كأتان، وآتُن، وعناق وأَعْنُق، وعقاب وأعقب، ومثل جناح وأجنح، وقد كسر رسول؛ لأنه يريد به المرأة التى حملت الرسالة وهى التى تغوص فى حمل هذا النوع من الرسائل.

وقد حمل لفظ المفرد المذكر على معنى المؤنث فى قوله تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء:١٦]، جعل الرسول بمعنى الرسالة، فجاز الوصف به للواحد والتثنية والجمع، مثل الوصف ببعض المصادر نحو: صَوْم، وزور، يقال: هو رجل زور، وهما رجلان زور وهم رجال زور، ومنه قول الشاعر:

لقد كذب الواشون! مافُهتُ عندهم بسِرٍّ ولا أرسلتهم برسول

أى: برسالة، وأريد به الجمع فى قول الشاعر:

---

(١) مجاز القرآن جـ ٢/٧٠.

(٢) ديوان جرير جـ ١/٣٣١، والأضداد للسجستانى ص ١٣٠، والأضداد لابن الأنبارى ص ١٣٠.

(٣) الخصائص جـ ٢/٢٨٥.

(٦) نفسه.

ألكنى إليها ، وخير الرســـــ ـــول أعلمهم بنواحى الخير

أى: وخير الرُّسل[1].

وقد يحمل اللفظ على معنى لفظ آخر من مادته ويخالفه فى البناء، ومن ذلك ما أنشده ابن جنى من قول الشاعر[2]:

أتهجر بيتا بالحجارة تلفعتْ به الخوفُ والأعداء من كل جانب

الشاهد: تلفعت به الخوف، فذهب بالخوف إلى المخافة، وأنث الفعل، ومـــن ذلك قول لبيد[3]:

فمضى وقدَّمها وكانت عادةً منه إذا هى عرّدت إقدامُها

قيل أنث الفعل " عردت "؛ لأنه حمل الإقدام على معنى التقدمة، وقيـــل إن فاعله يعود على "عادة" وهى مؤنث. ومن ذلك "ثلاث شخوص" فى قول عمـــر بن أبى ربيعة[4]:

فكان مجنِّى دون من كنت أتّقى ثلاث شُخوصٍ : كاعبان ومُعْصِرُ

الشاهد: ثلاث شخوص، وحقه فى العدد أن يقـــول: ثلاثـــة أشـــخص؛ لأن شخص مذكر، وثلاثة عدد قلة، وتمييزه يكون على وزن أفعل، ولكنه قصد إلى النساء فى المعنى؛ فأنث على المعنى فجعل العدد "ثلاثاً" مذكراً ليخالف معدوده، وأبان عما أراد بقوله: كاعبان ومُعْصِرُ[5]، واستخدم وزن جمع الكثرة " فعول " فى موضع وزن جمع القلة " أفعل "، وهذا صحيح فى العربية، قـــال تعـــالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ﴾[البقرة:٢٢٨].

---

(١) الكشاف جـــ ٣٥٣/٣، وقد جاء الرسول مثنى موافقاً المبتدأ فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه:٤٧]، جاء مـــثنى لأنـــه معناه (المُرسَل) فوجب تثنيته، وقال أبو عبيدة فى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:١٦] أراد رسالة، مجاز القـــرآن جـــــ ٨٤/٢، والصاحبى ص ٤٢٦.

(٢) الخصائص ٤١٧/٢.

(٣) الكامل جـــ٤٧١/٢، والخصائص جـــ ٢٨٤/٢.

(٤) الخصائص جـــ ٤١٩/٢.

(٥) الكامل جـــ٤٧١/٢، والصاحبى ص ٤٢٥، الخصائص جـــ ٤١٩/٢.

ومن ذلك قول القائل[1]:

فإن كلاباً عَشْرُ أبطُـــــــنٍ

وأنت برىء من قبائلها العَشْر

والبطن مذكر، ولكنه حمل أبطن على معنى القبائل، وحق ظاهر اللفـظ أن يقول عشرة أبطن؛ لأن البطن مذكر، ولكنه فى هذا الموضع فى معنى القبيلـة، فأنث لتأنيث القبيلة فى المعنى[2].

وقال القتَّال الكلابى[3]:

قبائلنا سبعُ وأنتم ثلاثـــة

وللسَّبْعُ خيرُ من ثلاثٍ وأكثر

ثالثاً - استواء المذكر والمؤنث

يستوى المذكر والمؤنث فى بعض الألفاظ، فيجىء اللفظ فيهما على ســواء دون تغيير أو زيادة، ومن ذلك:

بعض أبنية الوصف يستوى فيها المذكر والمؤنث:

مِفعَال: مِعْطار، مذكار (تلد الذكور)، مئناث (تلد الإناث).

ومِفْعَل: مِحْرَب.

ومُفْعِل: نحو: مُرْضع، وهو المؤنث، ومُشعِر للرجل.

ومِفْعِيل: منطيق.

ومنفعِل: منفطر نحو: ﴿**السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾[المزمل:١٨].

فِعَال: نحو: ناقة دِلاث، وعِيان.

---

(١) الصاحبى ص ٤٢٥، البيت غير منسوب لقائل، وقد نسبه لرجل من بنى كلب وهـو غـير منـسوب فى الكامـل للمـبرد جـ٢/٤٧١، وتفسير الطبرى جـ ٩/٦٠، ومعانى القرآن للفراء ١/١٢٦، والخصائص لابن جنى جـ ٢/٢٨٦، وقيـل: إن القائل النواح الكلابى يهجو رجلاً ادعى نسبه فى بنى كلاب، فذكر أنهم عشرة، ولا نسب له فيهم، الكتـاب لـسيبويه جـ ٣/٥٦٥.

(٢) معانى القرآن للفراء جـ ١/١٢٦.

(٣) الكتاب جـ٣/٥٦٥.

وفاعل: نحو: ناشز، وحائض، وطامث، وهى للمؤنث فقط، ومثلها: عاقر، وقاعد للآيسة من الحيض، وعاهر، وفاجر، وطاهر، ومثلها: عاصف، فى وصف الريح: ﴿**جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ**﴾[يونس:٢٢] وناقة ضامر(١).

وفعيل: بمعنى مفعول، ويبنى بناء فعيل للمذكر فلا يؤنث إن كان بمعنى مفعول نحو: عين كحيل، وكف خضيب، ولحية دهين، بمعنى: مكحولة، ومخضوبة، ومدهونة.

ويجوز أن يأتى وصف المؤنث بلفظ المذكر على وزن فعيل، نحو: قتيل، وبخيل(٢). وجاء ذلك فى قول جرير(٣):

نصبن الهوى ثم ارتمينَ قلوبَنا بأعين أعداء وهن صديق

أراد: وهن صديقات، وقول ابن حزام(٤):

ليالى لا عفراء منك بعيدة فتسلى ولا عفراء منك قريب

يريد: عفراء منه قريبة، ومن ثم فالوصف فى الآية للفظ المؤنث "رحمة "، وليس فيها حمل على المعنى على هذا الوجه.

وفَعَال: نحو: جبان، وحكى سيبويه أنه سمع فيها جبانه. روى البخارى، عن مسروق قال: دخلنا على عائشة ﷺ وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبِّبُ بأبيات له وقال(٥):

حصان رَزَان ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصبحُ غَرْثى مِن لحوم الغوافل

وقال الأموى(٦):

---

(١) ارجع إلى: المذكر والمؤنث، أبو البركات ابن الأنبارى، تحقيق عضيمة وعبد التواب، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م جـ ٢/١٥، وشرح المفصل م ٢/٥١٧، وشرح الكافية جـ ٣/٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) الخصائص جـ ٢/٢٨٢، والمذكر والمؤنث لأبى بكر بن الأنبارى جـ ٢/١٥.

(٣) اللسان، مادة صدق، وديوان جرير جـ ١/٣٩٨، وفيه: دعون الهوى، وبأسهم أعداء.

(٤) الخصائص جـ ٢/٢٨٢، والأغانى جـ ٣/١٥٨.

(٥) صحيح البخارى، كتاب المغازى، باب حديث الإفك ٣/٤١.

(٦) الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٦.

عَنَّيتُمُ قَوْمَكُمْ فَخْراً بأمِّكُمُ أمُّ لَعَمْرى حَصَانٌ برَّةٌ كَرَمُ

فحصان، ورزان، وزن فعال، وهو لفظ مذكر ووصف به المؤنث دون إلحاق تاء التأنيث به؛ لأنه بمعنى فاعل. وقد جاز أن يحمل اللفظ على النوعين فى بعض المواضع والألفاظ، ومن ذلك ألفاظ الجنس التى تشمل النوعين بإطلاق اللفظ عليهما، فيعين المذكر فيها بقرينة تدل عليه.

وفعول: بمعنى فاعل نحو: عدوّ، وسمع فيها عدوّة، وركوب، قال تعالى: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾[الذاريات:٢٩]، والمعنى: وأنا عجوز عقيم، ويقال: امرأة هَدِىّ، وهى عروس، وهدى وزن فعيل بمعنى مهدية، وعروس يوصف بها المذكر والمؤنث(١)، وامرأة ظلوم ورجل ظلوم، وغضوب بمعنى غاضب، فإن كان الوصف بمعنى مفعول زيدت التاء: ظلومة: بمعنى مظلومة، وعجول: فيه عجلة وفيها عجلة، ويقولون: رجل ظنون وظنين إذا كان ضعيفاً، قال تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[التكوير:٢٤] وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو والكسائى ورويس، وقرأ الباقون بالضاد (بضنين) أى: حريص على ادعاء العلم به، وظنين فى الآية: متهم، وظنين، وضجور، ضروس، ضحوك(٢).

ومنها أسماء الجنس: نحو: نملة، حبة، شجرة، يجوز فيها أن تكون مذكراً، والتاء فيها للوحدة للتفرقة بين المفرد والجمع، نملة: نمل، حبة: حب، قال تعالى: ﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ**﴾[النمل:١٨]، ولا يجوز هذا فى علم المذكر الحقيقى، يقال: قال طلحة؛ لأنه يلتبس فى التأنيث بالمؤنث، ونملة ليست بمؤنث حقيقى، فيجوز قال نملة وإن كانت ذكراً نحو: غردت حمامة ذكر، وعندى ثلاث من البط ذكور، فهى مؤنث لفظى، ويجوز فيها الوجهان: عندى من الذكور حمامة حسنة

---

(١) المذكر والمؤنث جـ ٢/٢٣.

(٢) نفسه.

وحسن[1]. نحو: رأيت حياً على حية، أى ذكراً على أنثى، وقالوا أيضاً: فلان حية، أى: ذكر، ومثلها: شاة للذكر والأنثى[2]، ومثل ذلك: رأيت جراداً على جرادة وحماماً على حمامة أى: ذكراً على أنثى، وهم يريدون الواحد من الجراد فجعلت الهاء دليلاً على الواحدة، للتفريق بينها وبين المذكر؛ لأنهم لو قالوا: حية على حية لم يعرف النوع، وقد سمع فى "رجل" رجلة للمؤنث فى النوادر، فالحية تذكر وتؤنث. أنشد الفراء[3]:

فما تَزْدَرى من حية جبليَّة سُكاتٍ إذا ما عضَّ ليس بأوردا

حية مذكر وقد دل عليه الضمير.

وقال الأخطل[4]:

إن الفرزدق قد شالت نعامته وعَضَّه حيَّةٌ من قومه ذكَرُ

حية: مذكر وقيدها الوصف ذكر بالمذكر.

وقد يحمل اللفظ على التذكير والتأنيث، ومن ذلك لفظ "السبيل" فى قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾[الأعراف:١٤٦]، جاء اللفظ مذكراً وجاء مؤنثاً فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾[يوسف:١٠٨]، ومن ذلك الطاغوت فى قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ**﴾[النساء:٦٠]، وجاء مؤنثاً فى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا**﴾[الزمر:١٧]، ومن ذلك"ناب" مذكر ويؤنث حملاً على معنى "سِن"، وهو مؤنث يقال: سن كبيرة، وكبرت سنه[5].

---

(١) شرح الكافية جـ ٣/٤٠٤.

(٢) المذكر والمؤنث للفراء ص ٦٩، ٧٠.

(٣) المذكر والمؤنث للفراء ص ٧٠ ولسان العرب: سكت.

(٤) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ص ٤٣٨، والمخصص لابن سيده جـ ١٦/١٠٧.

(٥) فقه اللغة ص ٢٣١، والتبيان م٢/١١٠.

وقد أجاز العلماء جريان التأنيث من المضاف إلى المضاف إليه إن صح وقوع المضاف موقع المضاف إليه فى الإسناد، فيؤنث المذكر، والمضاف إليه حملاً على تأنيث المضاف، ولا يكونان شبيهان بما يستغنى عنه[1]. ومن ذلك قول ابن عباس ﷺ: "اجتمع عند البيت قرشيان وثقفىّ، أو ثقفيان وقرشى، كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم"[2]. أنث كثيرة وقليلة؛ لأن الشاهدين أشبها ما يستغنى عنه نحو: أعجبتنى شحم بطون الغنم، ونفعت الرجالَ فقه قلوبهم، فالغنم والقلوب يجوز أن يقعا موقع الفاعل، ويجوز تشبيه شحم البطون وفقه القلوب بهما فى قول ابن عباس ﷺ مع أن المضافين لا يقعان موقع شحم وفقه فى كثيرة شحم بطونهم وقليلة فقه قلوبهم، وأجاز بعض العلماء تأنيث كثيرة وقليلة على تأويل الشحم بالمعنى العام "شحوم"، والفقه يأوّل بالفهوم، وهذا جائز فى العربية قياساً على لغوب بمعنى صحيفة.

وقال أبو جحيفة ﷺ: "خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتى بوضوء فتوضأ، فصلى بنا الظهر والعصر، وبين يديه عنزة والمرأة والحمار يمرون من ورائها"[3]، أعاد ضمير الذكور العقلاء على مؤنث ومذكر غير عاقلين: وقد تأوّل ابن مالك ذلك أنه أراد: المرأة والحمار وراكبه، فحذف الراكب لدلالة الحمار عليه، فنسب المرور إلى الحمار، ودليل صحة ما ذهب إليه ابن مالك أنه يجوز فى العربية أن يقال: وصلت السيارة، والمراد راكبها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾[يوسف:٧٠]، ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [يوسف:٨٢]، ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ ...**﴾[يوسف:٩٤]، المراد: راكبو العير. وحق أفعل التفضيل المفرد نكرة أن يلزم الإفراد والتذكير فى

---

(١) شواهد التوضيح ص ٨٦.

(٢) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة فصلت، باب(وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرادكم).

(٣) رواه البخارى، كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى العنزة.

التفضيل نحو: هند أفضل الطالبات. وقال تعالى: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[النحل:١٢٥]، ويجوز تأنيث أفعل معرفة نقول: الحسنى، الفضْلى، الدنيا، العلْيَا والقُصْيا، والأصل: الدنوى، والعلوَى، والقصوى، وبعض العرب نطق بها على لفظها الأصلى: القصوى تنبيهاً على الأصل، وقد استخدمها بعض العرب على الأصل فى الوصف، فقالوا: "خذ الحُلْوَى وأعطه المُرَّى" (١)، قال تعالى: ﴿**وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾[النجم : ٣١]، ولفظ "دنيا" مؤنث أدنى، وزن أفعل التفضيل، وأفعل التفضيل إذا نكر لزم الإفراد والتذكير وامتنع تأنيثه وتثنيته وجمعه، وقد جاء استعمال "دنيا" مؤنثاً ونكرة فى بعض النصوص الصحيحة، وكان حقه أن لا يستعمل كما لا يستعمل قصوى ولا كبرى(٢)، وقد جاء فى الحديث الصحيح: " ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها" (٣)، وقال أبو ذر الغفارىﷺ:" ولا – والله – لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله " (٤).

وقال الفرزدق(٥):

لا يعجبنَّك دنيا أنت تاركها كم نالهَا من أناس ثم ذهبوا

جاء لفظ دنيا فى الحديثين مؤنثاً ونكرة، وهذا فى القياس غير جائز، لأن"أفعل" التفضيل نكرة لا تؤنث ولا تثنى ولا تجمع، إلا أن دنيا فى الحديثين لا يراد بها الوصف بل العلمية، فأجريت مجرى وزن فعلى مما ليس وصفاً نحو: رُجْعى وبُهْمى، وقد عومل "جُلَّى" (مؤنث الأجل)، معاملة دنيا فى الجمع بين التنكير والتأنيث، قال بشامة بن حزم النهشلىّ:

---

(١) الكتاب لسيبويه ج٣٨٩/٤، شرح الشافية ج١٧٧/٣، ١٧٨. والتتمة فى التصريف ص ١٠٩.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ٨١.

(٣) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة.

(٤) رواه البخارى، كتاب الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز.

(٥) شواهد التوضيح ص ٨١، لم أعثر فى الديون الذى تحت يدى.

وإن دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمة يوماً سَرَاة كرام الناس فادعينا

أجرى الشاعر الجلَّى (مؤنث الأجل)، مجرى الاسم الذى يدل على الحادثة العظيمة بعد أن خلع عنه الوصفية، فجرى مجرى الأسماء التى لا وصفية لها فى الأصل نحو: رُجْعَى وبهمى[1]، وجُلَّى وزن فُعْلَى أجراه مجرى الأسماء، وقال: أرد به جليلة، ويدخل هذا فى المجاز، "والمرأة والحمار يمرون من ورائها" أى: العنزة التى أمامه، فأعاد ضمير الذكور العقلاء على مؤنث ومذكر غير عاقل، وهذا فى ظاهر اللفظ، والمعنى فيه المرأة والحمار وراكبه يمرون من وراء العنزة التى أمامه، فحذف الراكب لدلالة الحمار عليه، وغلب ضمير المذكر العاقل (راكب الحمار)، على غير العاقل وعلى المرأة، وتغليب المحذوف المقدر جائز فى اللغة نحو: قول العرب: " راكب البعير طليحان " وروى: "الناقة، وراكب الناقة طليحان" وروى: "راكب الناقة طليحان" أى: والناقة لكنه حذف المعطوف لأمرين: أحدهما تقدم ذكر الناقة، والشىء إذا تقدم دل على ما هو مثله، ومثله من حذف المعطوف قول الله عز وجل: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ**﴾[البقرة:٦٠]، أى: فضرب فانفجرت فحذف فضَرَبَ، وهومعطوف على قوله: (فقلنا) وكذلك قول الشاعر التغلبى:

إذا الماءُ خالَطها سخينا

أى: فشربنا سخينا، ولا يجوز تقدير معطوف عليه أى: الناقة وراكب الناقة طليحان، لأن الحذف اتساع والاتساع بابه آخر الكلام وأوسطه لا صدره وأوله، يجوز الاتساع فى حذف الأول، والأوجه تقدير المحذوف آخر الكلمة. والوجه الثانى أن يكون الكلام محمولاً على حذف المضاف أى راكب الناقة أحد طليحين، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (راكب الناقة)، والطليح الذى أجهده السفر وهزله[2].

---

(١) شواهد التوضيح ص٨١. وسراة الناس سادتهم.

(٢) لسان العرب: طلح.

والفعل يؤنث ويذكر، فيؤنث بإلحاق تاء التأنيث فيه، وتجب زيادتها إن جاور الفاعل المؤنث الحقيقى فاعله، ويؤنث الفعل جوازاً إن كان الفاعل جمع تكسير، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا**﴾[الحجرات:١٤]، أنث الفعل؛ لأن الجمع يكسب الاسم تأنيثاً، فهو بمعنى الجماعة، وليس بمؤنث حقيقى؛ لأنه يقع فى اللفظ لا المعنى فهو بمنزلة الدار والنعل، والتأنيث يقع فيه على إرادة الجمع، ولا اعتبار بلفظ المفرد، يقال: قامت الرجال، أى: جماعة الرجال، وقام النساء: أى: قام جمع النساء، ومثله: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**﴾[يوسف:٣٠].

ويجوز فى الجمع المكسر من الذكور التأنيث والتذكير من دون ترجيح، لأن لفظ المفرد قد تغير فى التكسير وصارت المعاملة مع لفظ الجمع، فإن قدر جمعاً ذُكِّر وإن قدر بالجماعة أُنِّث، قال الشاعر:

إذا الرجالُ وَلَدت أولادُها واضطربت من كِبر أعضادُها

وجعلت أوصابُها تعتادُها فهىْ زروع قد دنا حصَادُها

الشواهد: ولدت، اضطربت، جعلت، أسندت إلى فاعلين من أبنيه التكسير، فوقعت مؤنثة، ويجوز التذكير على إرادة لفظ الجمع[١]، ويجوز إثبات التاء أو حذفها إن كان الرافع نعم أو بئس، فالإثبات والحذف فصيح نحو: نعم المرأة هند، ونعمتِ المرأة هند.

وحكى سيبويه عن بعض العرب: "قال فلانة" استغناء بالمؤنث الظاهر عن علامته. ويذكر الفعل إن فصل بينه وبين فاعله فاصل، وهو أجود، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ**﴾[البقرة:٢٧٥]، فصلت الهاء بين الفعل والفاعل، ومنه قول الشاعر[٢]:

إن امرأ غرَّه منكن واحدة بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور

---

(١) شرح المفصل م٢/٥٢٣.

(٢) شرح كافية ابن الحاجب ج ٣/٤٠٦، ٤٠٧.

ذكر الفعل لعدم اتصال فاعله به "غرَّه منكن واحدة". وقال جريـــر هاجيـــاً الأخطل[1]:

لقد ولد الأُخَيطِلَ أمُّ سوء على باب استها صُلُب وشام

جاء الفعل مذكراً للفصل بين الفعل وفاعله، وهذا جائز فيما ليس فيه لبس، فالتأنيث ظاهر فى الفاعل، فلا يضره حذف التاء فى الفعل للدلالة الفاعل بعـــد الفعل عليه.

(١) ديوان جرير ص ٥١٥، الخصائص٢ ج٢/٢٨٤، قال ابن جنى: وتذكير المؤنث واسع جداً؛ لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب فى التناكر والإعراب.